

البعد الإنساني والعالمي للثورة الجزائرية من خلال النصوص والمواثيق 1954 – 1962.

"جريدة المجاهد أنموذجاً"

The human and global dimension of the Algerian révolution Through textes and charters 1954-1962. Al-Moudjahid news papier as a model

محمد محمد (*)¹

mohamed.mhamdi@univ-msila.dz، جامعة محمد بوضياف المسيلة،¹

تاريخ القبول: 2020-08-19

تاريخ الاستلام: 2020-10-17

ملخص:

تحاول هذه الدراسة التاريخية المتواضعة، تسليط الضوء نحو واحدة من القضايا الهامة التي عاشتها الثورة التحريرية خلال مسيرتها الكفاحية 1954-1962، ويتعلق الأمر بالاجتهاد للوقوف عند الأبعاد الانسانية والعالمية التي سلكتها جبهة التحرير والثورة الجزائرية عموماً، في تعاملها مع الفرنسيين مدنيين كانوا أم عسكريين، فهل كان النهج المتبع من الثورة ومنتسبها قائماً على الإبادة والتنكيل كما بالنسبة للاحتلال الفرنسي في معاملته للجزائريين، أم أن الثورة الجزائرية كان لها تصور آخر يقوم على الاحترام التام للقانون الدولي الإنساني في ما تعلق بمعاملة الفرنسيين وبخاصة فئة الأسرى منهم، وهو الأمر الذي جعل من هذه الثورة محل للتعاطف والمساندة من عموم الأحرار والمتقنين في العالم، ومحطة كذلك للاقتداء من قبل الحركات التحررية التي شهدها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك من خلال نصوصها ومواثيقها والتي كانت جريدة المجاهد لسان حال الثورة التحريرية أنموذجاً لهذه الدراسة.

(*) المؤلف المرسل: محمد محمد: mohamed.mhamdi@univ-msila.dz

الكلمات الدالة: البعد الإنساني، الثورة التحريرية، الاحتلال الفرنسي، جريدة المجاهد، المواثيق.

Abstract:

This historical study attempts, Shed ding light on one of the important issues That the libération révolution lived Through dring its struggle in 1954-1962, The matter is related to the diligence to stand on the human and global dimensions that the Liberation Front and the Algerian Révolution in général have taken, In its dealings with the French, Werther they were civilisés or soldiers, was the approach followed by the révolution and its affiliates based on genocide and abuse, as is the case for the French occupation in its treatment of the Algériens, Or did the Algerian révolution have another vision based on full respect for international humanitaire law with regard to the trématent of the French, especially the group of prisoners of them, This is what made this revolution a source of support from all free people and intellectuals in the world, It is also a stop to imitate the libération mouvements that the world witnessed during the second half of the twentieth century, And that is through its texts and charters, in which the Al-Moudjahid news papier, the mout pièce of the éditorial révolution, was a model for this study.

Keywords:

the human dimension, the libération révolution, the French occupation, the Moudjahid news papier, the charters.

1. مقدمة:

انتهج الاحتلال الفرنسي منذ سيطرته على الجزائر صائفة 1830، أساليب متنوعة ومختلفة للقضاء على السكان الأصليين لهذه البلاد وتقويض مقاومتهم له، فكانت سياساته قائمة الانتهاك الصارخ لجميع القوانين الدولية والانسانية السائدة في العالم خلال هذه المرحلة، إذ اعتمد الاحتلال سياسة تقوم على الإبادة الفردية والجماعية والقمع والتعذيب والتهجير وكل ممارسة تتنافى مع القيم الانسانية المكفولة للنفس البشرية بصفة عامة.

ومع اندلاع الثورة التحريرية في 01 نوفمبر 1954، كان المنطق أن يكون رد الفعل المتوقع من المجاهدين الجزائريين المعاملة بالمثل، والاقتصاص من الفرنسيين مدنيين وعسكريين جزاء ما اقترفت سلطة الاحتلال إزاء الجزائريين، غير أن الثورة الجزائرية اعتمدت في حربها ضد النظام الاستعماري على الأسس الشرعية للدين الاسلامي، والتي توافقت إلى حد كبير مع القوانين الدولية العرفية والانسانية منها على السواء، ومن ذلك احترام أحكام القانون الدولي الانساني مما أكسبها تعاطفا شعبيا ودوليا منقطع النظير، بما في ذلك الأحرار والمثقفون ومختلف الحركات التحررية التي شهدتها العالم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وهي الأبعاد الانسانية التي برزت تجلياتها في أدبيات ومواثيق الثورة التحريرية، والتي نجد أن من أهمها لسان حال جبهة التحرير الوطني والثورة التحريرية عموماً "جريدة المجاهد".

وانطلاقاً من أهمية الأبعاد الانسانية للثورة الجزائرية، ومحورية حضورها الواسع في نصوص ومواثيق هذه الثورة، سنحاول الوقوف عند هذه الأهمية من خلال الإجابة على التساؤلات الفرعية الآتي ذكرها:

- ماهي صور البعد الانساني للثورة الجزائرية في نصوص القانون الدولي الانساني؟
- ما مدى تأثير إنسانية الممارسة الثورية في تضامن الحكومات والدول في العالم؟
- ما هو أثر البعد الانساني للثورة في تضامن الأحرار والمثقفين؟
- وما هو دور الالتزام الانساني للثورة الجزائرية في التأثير على الحركات التحررية لمناهضة الأنظمة الاستعمارية؟

2. على مستوى نصوص القانون الدولي الإنساني:

يتحقق إجماع الدارسين في أن من بين الأهداف الرئيسية التي سطرها الثورة التحريرية بعد اندلاعها في الفاتح نوفمبر 1954، هي القضاء على النظام الاستعماري والتأسيس للجزائر المستقلة القائمة، على مبادئ الديمقراطية واحترام المعتقدات والحقوق الإنسانية المختلفة، وهو ما سعت إلى تجسيده القوانين الدولية المختلفة التي حاولت من خلال

نصوصها مواكبة أهداف الحركات التحررية والوقوف عند مطالبها في تحقيق الحرية والاستقلال، واستنادا إلى ذلك فقد دأبت الثورة الجزائرية من خلال جهود قادتها في إعطاء الكفاح التحرري بعدا إنسانيا وقانونيا يتماشى مع النصوص القانونية الدولية، وذلك بالالتزام الصارم بقوانين الحرب والمبادئ والأعراف الإنسانية، وخاصة بعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي أعطى لهذه الأخيرة بعدها الدولي والإنساني، من خلال ما ورد على لسان جريدة المجاهد: «فجيش التحرير الوطني منذ مؤتمر 20 أوت 1956 صارت له شخصيته المتميزة الواضحة، إذ صار له لباسه الخاص والموحد، وهو على هذا يقود حربا حقيقية يحترم فيها قوانين الحرب، وليس كما تحاول فرنسا أن تصنفه كمجموعة من الفرق، ولأدل على أن جيش التحرير الوطني جيش متميز الشخصية، لا يختلف في هذه الناحية عن بقية جيوش العالم مما قام به من أعمال إنسانية تتوافق وما تطلبه القوانين الدولية من كل جيش»¹.

وإضافة إلى البعد القانوني الذي كرسه المؤتمر في جانبه التنظيمي للثورة، فقد أعطاها بالمقابل أيضا قيما أخلاقية وإنسانية تنظم سلوك المجاهد وتضبطه بما يتوافق والنصوص القانونية الدولية والإنسانية منها على السواء، حيث أورد المجاهد: «بعد مؤتمر 20 أوت 1956 سن جيش التحرير في كامل ولايات الكفاح بالقطر الجزائري قوانين محددة، لا يتعداها المجاهد ويرجع إليها جميع القادة وهكذا أصدر المؤتمر الأمر بتحريم الإعدام ذبحا وتحريم جميع أنواع التمثيل بالشخص أو التشويه لخلقته، كما نص على أن كل من يتعدى على عرض فتاة أو امرأة يحكم عليه بالإعدام وعلى أن تنفيذ الإعدام لا يتم إلا بعد محاكمة شرعية قانونية يمكن فيها المحاكم من الدفاع عن نفسه...»²، وفي ذات السياق قد وضحت جبهة التحرير العلاقة الوطيدة التي تربط بين القوانين والنصوص الدولية مع واقع الممارسة اليومية لجنود جيش التحرير، حيث أكدوا أن هذه النظم هي برنامج ممارسة بالنسبة لجنود جيش التحرير بقولهم: «إن تلك النظم لم تكن برنامجا من وضع شخص بمفرده، ولكنها كانت نظاما يتجاوب مع ما يشعر به كل جزائري في أعماقه من إحساس عميق، وما يؤمن به داخل نفسه من سلوك وما يطبقه في حياته من أخلاق، ولذلك لم يجد

مسؤولو جيش التحرير عندما رجعوا إلى مراكزهم صعوبة في تطبيق تلك النظم، ولذلك لم تبق تلك النظم عبارة عن قاعدة مكتوبة أو محفوظة ولكنها صارت حقيقة حية يعيشها المجاهد ويطبقها في حياته اليومية ويؤديها الشعب بأكمله».³

كما قامت الثورة الجزائرية بتطوير بنود القانون الدولي الإنساني الذي يعتبر "مجموعة من القواعد القانونية المطبقة أثناء النزاعات العسكرية المسلحة الدولية وغير الدولية، والتي تهدف إلى تقييد أطراف النزاع في اختيار أساليب ووسائل القتال"⁴، وهو القانون المستحدث بناء على اتفاقيات جنيف 1949⁵، حيث أظهرت هذه الأخيرة التزامها القانوني بكامل بنوده، كما قامت أيضا بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في ضبط النزاع العسكري القائم مع الاحتلال الفرنسي بما يتماشى والقانون الدولي الإنساني الصادر عن اتفاقية جنيف⁶، حيث استفادت الثورة الجزائرية بانضمامها على اتفاقية جنيف إلى تحقيق جملة من المطالب التي كان لها صدى واسع في إعادة في نصوص القانون الدولي الإنساني والتي كان أهمها:

- ✓ اعتراف المجموعة الدولية بأهلية إدراج الثورة التحريرية الجزائرية 1954-
- 1962، كطرف من أطراف النزاع المسلح القائم مع السلطات الاستعمارية، بعد أن كانت هذه الأخيرة تدعي أن ما يحصل في الجزائر شأن داخلي يخص فرنسا لوحدها.
- ✓ الالتزام والتقييد من "جبهة" و "جيش.ت.و" بالاحترام الكامل لبنود ونصوص القانون الدولي الإنساني.
- ✓ إرغام الطرف الفرنسي بالخضوع إلى القوانين الدولية والتي ترمي إلى ضبط الممارسات في النزاعات العسكرية.
- ✓ خروج القضية الجزائرية من حالة النزاع الداخلي الذي كرسه السياسة الاستعمارية إلى وضعها القانوني ضمن إطار الحركات التحريرية التي شهدها العالم بداية القرن العشرين.

✓ التعاون مع المنظمات الإنسانية الدولية لضمان تسهيل مهام اللجان ومبعوثي الهيئات الإنسانية الدولية خلال النزاعات المسلحة.

✓ إقرار المجتمع الدولي بالثغرات القانونية في القانون الدولي الإنساني، وضرورة التعجيل بمراجعة البنود والنصوص القانونية التقليدية في هذا المجال، مع الدعوة إلى ضرورة تحديثها بما يتلاءم والأهداف الحديثة والمستقبلية للحركات التحررية السائدة في أنحاء العالم، وبخاصة ما تعلق منها بمعايير التصنيف المعتمدة لتصنيف حالات النزاع كنزاعات داخلية أو حروباً دولية.⁷

3- على مستوى تضامن حكومات ودول العالم:

اتخذت الثورة الجزائرية من البعد الإنساني الوارد في مواثيقها وممارستها عاملاً أساسياً في الدعاية والتعريف بقضيتها لدى الحكومات والدول في العالم، كما ساهمت المبادئ والأهداف العادلة والديمقراطية للكفاح المسلح الجزائري ضد الاستعمار في حملة تضامن وتعاطف من عديد الدول والحكومات التي عبرت بكل سيادة عن مساندتها للكفاح الجزائري ضد الاستعمار، أين تجسدت هذه المواقف في أشكال مختلفة منها: المواقف السياسية، المساعدات الاقتصادية، التضامن الإنساني... الخ.

واستناداً إلى المبادئ الإنسانية التي كرستها الثورة التحريرية كاستراتيجية في كفاحها المسلح ضد الاستعماري، فقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام ومساندة كبيرين من عديد الدول الشقيقة والصديقة، كما كانت عاملاً أساسياً في الدعم الدولي والإنساني للقضية الجزائرية على المستوى الخارجي، حيث أوردت جريدة المجاهد: «إن الحرب الجزائرية باتت موضوع اهتمام دول أخرى، فإخواننا المغاربة والتونسيون وسكان البلاد العربية لم يفتأوا عن مساعدتنا مساعدة فعالة، وقد صار موقف فرنسا أمام الرأي العام الدولي موقفاً محرماً».⁸

أما ما تعلق بالمساندة الإفريقية الآسيوية للقضية الجزائرية، فلا أدل من مشاركة وفد جبهة التحرير في مؤتمر باندونغ أبريل 1955 بفضل المساعدة والدعم من الرئيس المصري جمال عبد الناصر⁹ الذي بذل جهوداً لتدويل القضية الجزائرية على المستوى الدولي¹⁰، كما كان للمؤتمر الثاني لحركة عدم الانحياز المنعقد بالعاصمة اليوغسلافية "بريوني" ذات الدعم والتضامن مع القضية الجزائرية، وهو ما تبين في مواقف قادة المؤتمر الثلاثة (جوزيف بروز تيتو "يوغسلافيا"، جمال عبد الناصر "مصر"، جواهر لال نهرو "الهند")، والذي أكدوا مناهضتهم للاستعمار ودعمهم للقضية الجزائرية التي تعد أنموذجاً فريداً للتحرر في العالم، حيث أوردت المجاهد بقولها: «لقد استخلص الشعب الجزائري من المؤتمر الذي عقده في بريوني كل من السادة: تيتو، عبد الناصر، نهرو، فائدة يزيدتها أهمية ما جاء به الاستعمار يون الفرنسيون من خيبة، إذ أبرم على نظامهم الاستغلالي حكماً لا مرد له، بينما حظيت الثورة الجزائرية بالتقدير والموودة، لكن يجب الملاحظة أن هذا الانتصار ليس إلا انتصاراً مبدئياً ولئن كان الفرنسيون يتاثرون بإدانة الرأي العام الدولي لهم، فإنهم بما طبعوا عليه من عناد لا يريدون أن يعتبروا مثل هذه الأحكام كإدانة لجرائمهم... غير أن هذا لا يزيدنا إلا افتخاراً بريوني وبالانتصارات الدبلوماسية المقبلة التي سيتم بما انزعزال فرنسا الاستعمارية وستؤكد عدالة قضيتنا المقدسة»¹¹.

كما نجد أن الثورة التحريرية قد أحدثت أيضاً هزة حقيقة في نظرة الدول الخاضعة للاستعمار إزاء القوى التي تسيطر عليها، إذ نجد أن كثيراً من هذه الدول الإفريقية قد أعربت عن تضامنها وتأييدها للكفاح التحرري بالجزائر، مما جعل الاستعمار في انحصار وأقول تدريجياً، وفي ذلك كتب جريدة المجاهد في مقال لها: «إن الثورة الجزائرية قد قلبت رأساً على عقب كل علاقات الفرنسيين مع مستعمراتهم، وصحيح أن تطور جميع الشعوب نحو التحرير هو ارتباك لا يمكن مقاومته لكن الشكل الذي اتخذته الكفاح التحريري الجزائري قد بلغ درجة من الأصالة والشدة والشمول مما أحدث تصدعاً في جدار الاستعمار الفرنسي، بحيث تستطيع كل مستعمرة فرنسية القضاء عليه بسهولة»¹²، وهو ذات

الموقف الذي أعلنته الحكومة الصينية تجاه الثورة الجزائرية بعد اقتناعها أن خيار الكفاح المسلح هو السبيل الأمثل والطريق الأقصر لاسترداد الحرية المسلوبة بقولها: «لقد شكلت حرب التحرير الجزائرية نموذجاً عملياً لانتصار المنظور الصيني والحصول على الاستقلال والتحرير غير المشروط لأن الاستقلال والسلم مع الدول الاستعمارية يمكن الحصول عليها بالصراع وليس بالتوسل».¹³

كما حمل الموقف اليوغسلافي المؤيد للثورة الجزائرية أبلغ دليل على عدالة القضية وإنسانيتها، سيما وأن أهداف البلدين تشترك في النضال من أجل التحرر، وبخصوص هذا الموقف ذكر لنا الباحث "إسماعيل ديش" قوله: «لقد كانت علاقة يوغسلافيا مع الجزائر (مع الشعب الجزائري) وثيقة، فقد كانت يوغسلافيا من أسبق الشعوب والحكومات إلى تأييد كفاحنا، لأن تجربتها النضالية ضد النازية جعلتها تتعرف بسهولة على عدالة قضيتنا وشرعية كفاحنا...».¹⁴

4- على مستوى تضامن الأحرار والمثقفين:

لقد اجتهدت الثورة التحريرية منذ إعلانها الكفاح المسلح على مستويات مختلفة لتحقيق أهدافها المسطرة في بيان أول نوفمبر 1954، فكانت العمل المسلح الخيار الأمثل لمواجهة القمع العسكري الفرنسي على المستوى الداخلي، في حين كانت الدعاية والتعريف بالثورة الجزائرية ومبادئها الإنسانية الوسيلة الأفضل لتحقيق التضامن والمساندة لهذه القضية في ظل حملة الدعاية والأكاذيب التي شنتها أجهزة المخابرات الفرنسية ضد الثورة الجزائرية، ولأجل تحقيق ذلك فقد بذلت جبهة التحرير جهوداً جبارة في اتجاه الأحرار والديمقراطيين للتعريف بمبادئ وأهداف الكفاح المسلح الذي يقوده الشعب الجزائري في مواجهة الاحتلال الفرنسي، وهو ما تجلّى في عديد المواقف المساندة والمؤيدة للثورة التحريرية من قبل عديد الفئات المثقفة الفرنسية، إذ نجد أن الكثير من المثقفين الفرنسيين قد أعلنوا تعاطفهم مع القضية الجزائرية، مجاهرين بمساندتهم ومؤازرتهم لهذه الأخيرة بعد الجرائم التي استهدفت المدنيين الجزائريين، حيث أدركت فئة كبيرة من هؤلاء المثقفين أن السلطات الاستعمارية مسؤولة عن

الجرائم اللاإنسانية المقترفة ضد الجزائريين، والتي راح ضحيتها أعداد ضخمة من الأبرياء بعد أن طبقت ضدهم أساليب مختلفة من التنكيل المبرمج والقتل المتعمد.

وفي هذا السياق يبرز لنا بوضوح الموقف المتضامن لفئة المثقفين الفرنسيين المناهضين للتوجه الاستعماري مع القضية الجزائرية، ومن هؤلاء نجد: أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر الدكتور "روني كاييتون" الذي اتخذ قراره الإنساني بالتضامن مع القضية الجزائرية عن قناعة تامة، بعد مقتل الطالب الجزائري "أحمد بومنجل" في شهر مارس 1958، والذي كان لحادثة مقتله من قبل العسكريين الفرنسيين عميق الأثر على نفسيته ومساره المهني في البلاد، بعد اتخاذ قراره التوقف النهائي عن ممارسة مهام التدريس بجامعة الجزائر رفضاً واحتجاجاً على السياسة الاستعمارية المسالطة ضد المدنيين الجزائريين، حيث اعتبر "كاييتون" أن قتل الطلبة والمدنيين عموماً يعد جريمة في حق الإنسانية، على اعتبار أن "أحمد بومنجل" من أنجب طلبة هذا الأخير في كلية الحقوق، كما أنه واحد من الجزائريين ذوي السمعة الطيبة بين أقرانه وأترابه، وتأثراً بهذه الجريمة كتب "كاييتون" ناعياً هذه الجريمة بحق الإنسانية، فيقول: «... لقد كان علي بومنجل أحد طلبي في كلية الحقوق بالجزائر، إنني أجد نفسي اليوم عاجزاً عن التدريس بكلية حقوق فرنسية، أقيلوبو إن شئتم...، فإنني أتقبل ذلك بكل ارتياح،... ما تتخذونه من قرار شرط إبلاغ صوتي».¹⁵

وفي نفس الاتجاه، المتعلق برصد المواقف الفرنسية المثقفة المتضامنة مع الثورة الجزائرية فقد كان لموقف "فرانز فانون" الطبيب ذي الأصول المارتينيكية¹⁶ التابعة للمستعمرة الفرنسية القديمة¹⁷ نفس الموقف المساند للكفاح المسلح الجزائري، وخاصة بعد أن وقف هذا الأخير عند حقيقة التجاوزات اللاإنسانية للاستعمار في حق الشعوب المستعمرة، أين قرر التوقف النهائي عن مواصلة أداء واجبه كطبيب معالج للأمراض العقلية بمستشفى البلدية سنة 1956، وذلك بعد أن قرر الانضمام عن إرادة واختيار حر إلى صفوف الكفاح المسلح الجزائري ومساندة القضية الجزائرية بكل ما يستطيع أن يساعدها، سيما بعدما أيقن أن السياسة الفرنسية في هذه البلدان المستضعفة، إنما هي تقوم على القمع والاستبداد خدمة

للدول والشعوب الاستعمارية دون غيرها من شعوب المستعمرات المقهورة، ليقرر سنة 1957¹⁸ انضمامه النهائي للثورة التحريرية الجزائرية، هذه الأخيرة التي استفادت من خبراته الطويلة في مجالات عدة نذكر منها: السياسية والإيديولوجية وحتى الفكرية... الخ، وهو الذي منحها عصارة تجاربه السياسية والفكرية التي اكتسبها طيلة مساره النضالي والسياسي في النضال والكفاح من أجل الفئات المستضعفة، وهو الذي اختار أن تكون لمسته واضحة لفائدة المسيرة التحريرية للثورة الجزائرية، وذلك ضمن عرف ب: تجارب فرانز فانون في الفكر والممارسة الثورية.¹⁹

وإضافة إلى هؤلاء المثقفين الفرنسيين ممن ساندوا الكفاح التحرري الجزائري بأفكارهم وأقلامهم، وعملوا على مناهضة الواقع الاستعماري من خلال مواقفهم السياسية والفكرية المنددة بالسياسة الاستعمارية الفرنسية المطبقة تجاه المدنيين الجزائريين، نقف أيضاً على موقف الأستاذ بجامعة الجزائر "أندري ماندوز" الذي لم يتردد هو الآخر في إظهار معارضته إزاء السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، ليؤكد رفضه القاطع للتجاوزات والخروقات الحاصلة إزاء القوانين الدولية والإنسانية العالمية إزاء المدنيين في مستعمرة الجزائر، ويعزي العديد من الباحثين أن الأصول التاريخية لملاحم السخط والتدمير المعلن ضد النظام الاستعماري من الأستاذ الفرنسي "أندري ماندوز" إنما هي في حقيقتها تعود إلى سنة 1947، وهناك بدأت البوادر الأولى لبروز ملامح الرفض للواقع الاستعماري عبر تجربة هذا الأخير في الصحافة المكتوبة في "مجلة إيسيري" ذات التوجهات الوجودية المعتدلة، ومما يثبت الحقائق الواردة بشأن كتاباته الناقدة للنظام الاستعماري القائم في الجزائر؛ هو المقال الصادر لهذا الأخير في المجلة في سنة 1948، والذي ورد بعنوان: «لنتجنب الحرب في شمال إفريقيا» هذا الأخير الذي تنبأ فيه الأستاذ "ماندوز" بمأساة وشيكة الحصول في الجزائر، في حال ما لم تتخذ الإجراءات الوقائية لتدارك الأوضاع السائدة بصفة مستعجلة في هذه البلاد.²⁰

وفي ذات السياق، وعلى خطى جميع المثقفين الفرنسيين المناهضين للمشروع الاستعماري بالجزائر، نجد أن رجل القانون الفرنسي "جاك فرجاس" الملقب بـ"العم منصور"

بجاهر هو الآخر بالرفض الصريح للواقع الاستعماري القائم على الظلم والاستبداد، وهو الذي انتقد جميع الممارسات التعسفية واللاإنسانية المطبقة من قبل النظام الاستعماري ضد المدنيين الجزائريين، حتى أن المحامي "جاك فرجاس" قد قرر بمحض إرادته، وبناء على قناعاته الإنسانية والفكرية المطعمة بالفكر الوجودي تولي مهمة الدفاع عن جنود "جيش.ت.و" أمام جميع المحاكم الفرنسية الواقعة على التراب الفرنسي عسكرية كانت أو مدنية.

كل ذلك بالرغم؛ أنه كان يعلم في قرارة نفسه أن المحاكمات الفرنسية في حق الجزائريين، إنما هي في الحقيقة محاكمات غير شرعية من وجهة النظر القانونية، ولا تستند إلى أي أساس شرعي أو قانوني أو حتى دليل مادي يثبت إدانة المدنيين الجزائريين، وأضاف يقول أن المقاومة المنظمة من قبل السكان الجزائريين، إنما هي لأجل غاية نبيلة وهدف إنساني يتمثل في تحقيق الحرية والاستقلال، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تصنف ضمن حوادث حفظ النظام العام في الدولة الفرنسية، مثلما حاولت الترويج الدعاية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وفي هذا السياق فقد ذكر المحامي "جاك فرجاس" هذه الحقائق في قوله: «إنه الوضع الاستثنائي الذي حرم المتهمين الجزائريين من كل الضمانات، سواء تلك المتعلقة بالقانون العام أو القانون الدولي الإنساني الذي تنص عليه اتفاقية جنيف».²¹

وفي نفس السياق؛ المتعلق برصد جهود المثقفين الفرنسيين في مساندة الكفاح التحرري الجزائري، ومناهضة المشروع الاستعماري الفرنسي القائم في هذه البلاد منذ احتلالها سنة 1830 ، فقد قرر المثقف الفرنسي الوجودي "فرانسيس جانسون" إعلان مساندته الفكرية والأدبية وحتى الأيديولوجية للثورة والقضية الجزائرية بصفة عامة، بعد اقتنع أن الكفاح المسلح المعلن عنه من قبل الجزائريين في بلد الجزائر، إنما هو كفاح ونضال من أجل قضية عادلة وإنسانية، وعليه فقد اتخذ "فرانسيس جانسون" مع زوجته "كوليت جانسون" قرارهما الإنساني العادل، بمساندة هذه القضية من خلال إعلانهما ضرورة التشهير والتعريف بالجرائم الاستعمارية المرتكبة ضد المدنيين الجزائريين لدى الرأي العام العالمي، مع العمل على التعريف بالقضية الجزائرية والسعي لكسب وتحقيق مواقف التعاطف معها من لدن الدول الصديقة

والشقيقة، وقد تجسد ذلك في إصدار الزوجين "جانسون" لمؤلف إنساني عنوانه "الجزائر خارجة عن القانون"، هذا الذي أحدث ضجة حقيقية في فرنسا والعديد من البلدان الأوروبية، لما شكله من صدمة بالنسبة للأوساط الفرنسية المساندة للسياسة الاستعمارية في الجزائر، كما أن الكتاب قد كان محلاً للعديد من ردود الفعل الإعلامية المساندة للقضية الجزائرية وأهاليها، في الوقت الذي برزت أهمية هذا المؤلف أيضاً لدى الأوساط السياسية والإعلامية المناوئة للقضية الجزائرية، سيما بعد الحملة الإعلامية التي طالت مؤلف الكتاب أين وصلت درجة مطالبة العديد الفرنسيين بإصدار قرار بمنع الكتاب ومحكمة مؤلفه.²²

وفي ظل الضجة التي أحدثتها الكتاب "القنبلة" كما جاء في وصفه من بعض الأوساط الفرنسية، والمؤلف من قبل الزوجين "جانسون" وما أعقب هذا الكتاب من ردود أفعال متباينة إزاء القضايا والتجاوزات العسكرية والسياسية والإعلامية... التي فضح أصحابها من خلال هذا المؤلف، وللإشارة فإن "فرانسيس جانسون" لم يتوقف عند هذا الحد من المساندة الفكرية للقضية الجزائرية كونها قضية إنسانية عادلة فحسب، بل تعداها إلى أشكال وأنماط جديدة من المساعدة والدعم للقضية الجزائرية عموماً، وذلك بالعمل على تجسيد مواقفه الفكرية والأيدولوجية إلى واقع عملي وممارساتي مساندة لهذه القضية الإنسانية، وقد تجلّى ذلك في إنشائه لمنظمة الدعم السرية لفائدة المناضلين الجزائريين وقد أطلق على هذه المنظمة اسم: "شبكة جانسون السرية".²³

وفي سياق متصل بجهود المثقفين الفرنسيين وصور دعمهم للقضية الجزائرية، فقد نقل عن المناضل "عمر بوداود"²⁴ اعترافه في شأن الجهود الإنسانية المقدمة من قبل هؤلاء المثقفين الفرنسيين للثورة التحريرية، أين أكد أن الأشكال المختلفة للدعم والمساعدة المقدمة من قبل هؤلاء النخبويين الفرنسيين، قد كانت من أهم نقاط القوة خلال المسيرة الثورية والتحريرية التي نهض بها الجزائريون، وقد تجلّى ذلك من خلال عديد المهام المسندة لهؤلاء المثقفين الفرنسيين من المتعاطفين مع القضية الجزائرية، وهم الذين كرسوا جهودهم الفكرية والإنسانية في الدعم والدعاية لصالح القضية الجزائرية والتعريف بها، أو حتى في صور الجهود العملية من هؤلاء

مساعدة للمناضلين الجزائريين، وهم الذين حملوا على عاتقهم عديد المهام المتعلقة بمحاولة النهوض بالكثير من المهام والأعمال الهامة خلال المسيرة الثورية الجزائرية، ومن بين هذه المهام نذكر: إخفاء المناضلين، جمع التبرعات، الدعاية الصحفية، جهود التعريف بالقضية الجزائرية... وغيرها من الجهود الميدانية ذات الفعالية، والتي نهضت بها أعداد كبيرة من المثقفين الفرنسيين لصالح الثورة الجزائرية خاصة والقضية الإنسانية عامة.²⁵

وهنا تجدر الإشارة؛ إلى أن أغلب المساعدات المقدمة لصالح الثورة الجزائرية من قبل هؤلاء النخبويين الفرنسيين كانت أغلبها تتسم بطابع السرية والتكتم خوفاً من ملاحظات الإدارة الاستعمارية، هذه الأخيرة التي لا تزال شكوكها وإلى غاية هذه المرحلة بعيدة عن هؤلاء المثقفين والنخبويين الفرنسيين، في وقت كانت فيه الرقابة البوليسية والعسكرية الفرنسية شديدة على الجزائريين وبخاصة من أولئك القاطنين على التراب الفرنسي.²⁶

5- على مستوى الحركات التحررية العالمية:

تشارك الحركات التحريرية في الكثير من دول العالم في مناهضتها للسياسات الاستعمارية عموماً، حيث تسعى إلى استرداد حريتها المسلوبة بواسطة الكفاح المسلح، سعياً إلى تحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية المسلوبة لسكانها وأهاليها²⁷، وعليه فقد اعتبرت الثورة الجزائرية أحد النماذج الرئيسية للحركات التحررية العالمية، حيث شكلت بمبادئها وأهدافها الإنسانية شكلاً جديداً من أشكال النضال والتحرر، حيث ورد في مؤلف أندريه ماندوز قوله: «إن التحرر الحقيقي ليس أبداً ذلك الاستقلال المزيف، حيث يتجاوز بعض الوزراء محدودية الصلاحية هنا مع اقتصار يحكم الميثاق الاستدماري... بل إن التحرر المنشود يعني قبر النظام الاستدماري بدءاً من هينة لغة المستدمر واعتبار المستدمرات كولايات تابعة لها...»²⁸.

ومن هذا المنطلق فقد كان للكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي للجزائر أبعاداً دولية وإنسانية كان لها التأثير المباشر في الكثير من الحركات التحررية الإفريقية والعالمية على حد سواء.

أ- على المستوى الإفريقي: لقد ظلت الجزائر لفترات طويلة أنموذجاً تحرورياً وإنسانياً في مجابهة الاستعمار الاستيطاني على المستوى الإفريقي، إلا أن الإعلان عن الثورة التحريرية وكفاحها المسلح قد أعطى هذا الأخير بعداً إفريقياً وإنسانياً تشترك فيه جميع الدول الإفريقية الخاضعة للاستعمار²⁹، وعليه فقد كان للبعد الإفريقي ارتباط واضح بالكفاح التحرري بالجزائر، حيث ورد ذلك: «إن الشعوب الإفريقية كلها لا تنسى أبداً أن هذه الانتصارات الجريئة التي حققتها والآفاق الواسعة التي تفتتح أمامها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفاح الذي تخوضه الجزائر الدامية في سبيل حريتها وحرية إفريقيا جمعاء».³⁰

كما نجد أيضاً أن للمؤتمرات المنعقدة بالقارة الإفريقية دور حاسم في توجيه العمل التحرري وتشجيع البلدان الإفريقية على خيار المجابهة العسكرية لقوى الاستعمار رفضاً منها لكل أشكال الهيمنة والاستبداد التي تفرضها الأنظمة الاستعمارية على الشعوب الإفريقية، جاء في جريدة المجاهد: «إن المؤتمر يصادق على شعار الاستقلال العاجل ويقرر اتخاذ جميع الإجراءات الضرورية لتجنيد الجماهير الإفريقية حول هذا الشعار، ولتجسيم هذه الإرادة في الاستقلال تجسيماً واقعاً ملموساً "بهذه العبارات أعلنت شعوب إفريقيا السوداء من منبر كوتونو حربها على حكومة الجنرال ديغول"، والواقع أن الجهاز الاستعماري الفرنسي في إفريقيا السوداء بدأ يتضعع منذ سبتمبر 1957 في مؤتمر باماكو، ففي ذلك المؤتمر أعلن إخواننا الأفارقة عن رفضهم للقانون الإطاري الذي اعتبرهم فرنسا بمقتضاه رعايا لا مسؤولية لهم في الحكم ولا حق لأوطانهم في الاستقلال».³¹

ب- على المستوى العالمي: أما على المستوى العالمي والدولي، فقد حققت الثورة الجزائرية أيضاً تأثيراً كبيراً في الحركات التحررية التي أعلنتها دول أمريكا اللاتينية، كما أسهمت هذه المواقف في إبراز نوع من التضامن والتعاطف بين هذه الحركات التحررية الهادفة إلى استرداد حريتها واستقلالها، فوجد أن حركة التحرر في كوبا قد أعلنت بصراحة موقفها الإنساني المتضامن مع جميع الحركات التحررية بما فيها الثورة الجزائرية بقولها: «إن حركات

عديدة من بينها ثورة كوبا قد خلقت هذه المدة الأخيرة شعورا مناهضا للاستعماريين في أمريكا اللاتينية، وحمست شعوب هذه القارة ليقفوا موقف التأييد للشعب الجزائري في نضاله البطولي... لأن كفاح الجزائر من أجل استقلالها هو في نظرنا كفاح تحريري لكل الشعوب المضطهدة وكل الشعوب التي تعاني درجات مختلفة من أنواع الاستعمار».³²

وفي ذات السياق، فقد برزت حملة من التأييد والمساندة من باقي دول أمريكا اللاتينية للكفاح المسلح الجزائري ضد النظام الاستعماري، وهو ما استوقف الصحفي البرازيلي "باولو دي كاستو" الذي قال: «...ومع هذا فإن الحركة المؤيدة للجزائر في أمريكا اللاتينية قد بلغت درجة عظيمة في أوساط العمال والمثقفين، حتى أن الفئات الحاكمة عندنا يشعرون بالصعوبات الجسيمة التي تمنعهم من أن يؤيدوا فرنسا التي لا تتورع عن ممارسة التعذيب»³³، وعليه فإن النظرة المشتركة من هذه الدول للاستعمار على اعتبار أنه الخطر الحقيقي الذي يهدد الإنسانية في نظمها المختلفة حيث جاء فيها: «أن الاستعمار نظام عالمي يسيء إلى الإنسانية جمعاء، وأن تساند قوى مختلفة في نظمها السياسية والاجتماعية وفي مذهبها ونظرتها إلى الحياة للقضاء على الاستعمار، لا يعني انصهار هذه القوى في بوتقة مذهبية واحدة، وإنما يعني فقط التقاءها حول أهداف إنسانية عامة يمكن على أساسها أن يقوم نظام للتعايش السلمي الحقيقي بين كل شعوب العالم».³⁴

6. خاتمة:

وفي الختام نستنتج بأن الثورة الجزائرية قد انتهجت في مجاهتها للاحتلال الفرنسي المعتدي على الجزائر أرضاً وشعباً، مسلماً إنسانياً يقوم على الاحترام الكامل للنصوص القانونية والدولية الهادفة للحفاظ على النفس البشرية من الطرفين وحمايتها من أسباب الهلاك، وهذا ما أكسب هذه الثورة التقدير والإعجاب من لدن الأحرار والمثقفين والديمقراطيين الذين نادوا بنصرة القضية لعدالتها وإنسانيتها، كما جعل منها كذلك محل قدوة من طرف الكثير من الحركات التحررية السائدة في العالم، وهو ما سجلته مواثيق ونصوص الثورة التحريرية

الأساسية وغير الأساسية منها، كحال الصحافة الثورية التي نجد أن جريدة المجاهد أهمها على الإطلاق.

7. الهوامش:

- 1 - جريدة المجاهد: ع9، 1957/08/20، ص 05.
- 2 - جريدة المجاهد: ع9، 1957/08/20، ص 12.
- 3 - جريدة المجاهد، ع 10، 1957/09/05، ص 12.
- 4 - أحمد بوغانم: الرقابة الدولية على تطبيق القانون الدولي الإنساني، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص-ص 22-23.
- 5 - أحمد بوغانم: المرجع نفسه، ص 29.
- 6 - سلمان نصر: صور من آثار البعد الديني في سلوك مجاهدي الثورة التحريرية، مجلة المعيار، ع 04، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003، ص 24.
- 7 - عبد القادر حويه: الوضع القانوني للمقاتلين في القانون الدولي الإنساني، أطروحة دكتوراه، إ: مزياي فريدة، قسم الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2013/2014، ص 45.
- 8 - جريدة المجاهد: ع 1، 1956/06/01، ص 24.
- 9 - أحمد بشيري: الثورة الجزائرية والجامعة العربية، دار ثالثة، الجزائر، 2009، ص 48.
- 10 - أحمد بن فليس: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958-1962، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985، ص 150.
- 11 - جريدة المجاهد: ع 2، 1956/07/01، ص 05.
- 12 - جريدة المجاهد: ع 22، 1958/04/15، ص 07.
- 13 - إسماعيل ديش: السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 144.
- 14 - المرجع نفسه، ص 182.

- 15 - سمير البكوش: ثورة التحرير الجزائرية: خصوصياتها وموقف الفرنسيين منها، مداخلة بملتقى ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي-المنطلقات، الحقائق والأبعاد، جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة، الجزائر، ديسمبر 2006، ص 90.
- 16 - محمد الميلي: فرانس فانون والثورة الجزائرية، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص 08.
- 17 - عماد الدين طهيري: الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانس فانون، مجلة منيرفا، م 03، ع 06، الجزائر، جوان 2017، ص 60.
- 18 - عماد الدين طهيري: المرجع السابق، ص 61.
- 19 - نور الدين عسال: المثقفون الفرنسيون والتعذيب، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 07، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2014، ص 14.
- 20 - خالد بوهند: النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة للاستعمار، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013، ص 54.
- 21 - محفوظ عاشور: نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958، مجلة تاريخ العلوم، ج 01، ع 08، جامعة زيان عاشور - الجلفة، الجزائر، جوان 2017، ص 230.
- 22 - سعدي بزيان: فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط 1، دار نسيبان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 13.
- 23 - ماري بيار أولوا: فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 113.
- 24 - من مواليد منطقة سيدي داود بالقبائل الكبرى (تيزي وزو حالياً) سنة 1924، وبها تلقى أولى معارفه التربوية والتعليمية لينتقل بعدها إلى معهد التكوين المهني الفلاحي، وفي خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945) التحق بصفوف حزب الشعب الجزائري ليتم اعتقاله بعد مجازر 08 ماي 1945 بالشرق الجزائري ليطلق سراحه بعد فترة وجيزة من ذلك، انتقل إلى فرنسا بعد أن أطلق سراحه للمرة الثانية سنة 1948، وهناك تجدد في صفوف المناضلين الجزائريين ضمن صفوف "جبهة ت.و." بفرنسا، وبعد اعتقال "محمد لبجاوي" رئيس فيدرالية "جبهة ت.و." بفرنسا، تم استدعاء "عمر بوداود" من قبل "عبان رمضان" لتولي هذه المهمة، وقد أشارت الدراسات والأبحاث بأن هذا الأخير قد نُضض بهذه المسؤولية على

- أكمل وجه إلى غاية استعادة الاستقلال في ال05 جويلية 1830؛ ينظر. عبد الله مقلاتي: أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، ج05، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص 87.
- 25- محمد بليل: مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954-1962 أمام الرأي العام البلجيكي - قراءة في وثائق أرشيفية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، س04، ع 34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017، ص 10.
- 26- عبد الله مقلاتي: المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون أنموذجاً، مجلة المصادر، ع21، م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر، ص237.
- 27 - عمر سعد الله: آراء في تقرير المصير السياسي للشعوب، دار هومه، الجزائر، 2014، ص297.
- 28 - أندريه ماندوز: الثورة الجزائرية عبر النصوص، تر: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2008، ص 55.
- 29 - عبد الله مقلاتي: الثورة الجزائرية وإفريقيا، ج7، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013، ص 13.
- 30 - جريدة المجاهد: ع 52، 1959/10/05، ص 06.
- 31 - جريدة المجاهد: ع 28، 1958/08/28، ص 19.
- 32 - جريدة المجاهد: ع 51، 1959/09/21، ص 04.
- 33 - المصدر نفسه، ص 04.
- 34 - جريدة المجاهد: ع 83، 1960/11/28، ص 10.
- 8. قائمة المصادر والمراجع:**

أ. الجرائد:

- جريدة المجاهد: ع 1، 1956/06/01.
- جريدة المجاهد: ع 2، 1956/07/01.
- جريدة المجاهد: ع 9، 1957/08/20.
- جريدة المجاهد: ع 10، 1957/09/05.
- جريدة المجاهد: ع 22، 1958/04/15.
- جريدة المجاهد: ع 28، 1958/08/28.
- جريدة المجاهد: ع 51، 1959/09/21.

- جريدة المجاهد: ع 52، 1959/10/05.
- جريدة المجاهد: ع 83، 1960/11/28.

ب. الكتب:

- أندريه ماندوز: الثورة الجزائرية عبر النصوص، تر: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2008.
- أولوا ماري بيار: فرانسيس جانسون الفيلسوف المناضل، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
- بوغنام أحمد: الرقابة الدولية على تطبيق القانون الدولي الإنساني، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر، 2013.
- بزيان سعدي: فرنسيون أحرار في ثورة 1 نوفمبر 1954، ط1، دار نسيبان للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2016.
- بشيري أحمد: الثورة الجزائرية والجامعة العربية، دار ثالة، الجزائر، 2009.
- دبش إسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- مقلاتي عبد الله: أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، ج05، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013.
- مقلاتي عبد الله: الثورة الجزائرية وإفريقيا، ج7، دار شمس الزيبان، الجزائر، 2013.
- المليي محمد: فرانز فانون والثورة الجزائرية، منشورات anep، الجزائر، 2007.
- سعد الله عمر: آراء في تقرير المصير السياسي للشعوب، دار هومه، الجزائر، 2014.

ج. المقالات:

- بليل محمد: مناصرة المثقفين الفرنسيين للثورة الجزائرية 1954-1962 أمام الرأي العام البلجيكي-قراءة في وثائق أرشيفية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، س04، ع 34، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، سبتمبر 2017.
- بوهند خالد: النخبة الفرنسية المثقفة المناهضة للاستعمار، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع06، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2013.

- طهيري عماد الدين: الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فرانز فانون، مجلة منيرفا، م03، ع06، الجزائر، جوان 2017.
- مقلاتي عبد الله: المثقفون الفرنسيون والثورة الجزائرية: فرانسيس جانسون أنموذجاً، مجلة المصادر، ع21، م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن.54، الجزائر.
- نصر سلمان: صور من آثار البعد الديني في سلوك مجاهدي الثورة التحريرية، مجلة المعيار، ع04، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003.
- عسال نور الدين: المثقفون الفرنسيون والتعذيب، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع07، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، 2014.
- عاشور محفوظ: نداء صديق الثورة التحريرية جاك فرجاس إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر بخصوص جميلة بوحيرد وزميلاتها 1958، مجلة تاريخ العلوم، ج01، ع08، جامعة زيان عاشور - الجلفة، الجزائر، جوان 2017.

د. الرسائل الجامعية:

-الدكتوراه:

1. حوبه عبد القادر: الوضع القانوني للمقاتلين في القانون الدولي الإنساني، أطروحة دكتوراه، إ: ميزاني فريدة، قسم الحقوق، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، 2013/2014.

-الماجستير:

1. بن فليس أحمد: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958-1962، رسالة ماجستير، معهد العلوم السياسية، جامعة الجزائر، الجزائر، 1985.

هـ. الملتقيات العلمية:

1. البكوش سمير: ثورة التحرير الجزائرية: خصوصياتها وموقف الفرنسيين منها، مداخلة بملتقى ثورة التحرير الجزائرية والاستعمار الفرنسي-المنطلقات، الحقائق والأبعاد، جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة، الجزائر، ديسمبر 2006.